

قراءة تحليلية للباس الجزائري بين ثنائية الأصالة والمعاصرة

e dichotomy of An analytical reading of the Algerian dress between th authenticity and modernity

أسامة باحمد^{1*}، الذهبي إبراهيم²، مونية زوقاي³

¹ جامعة لونيبي علي البلدة 02 (الجزائر)، الإيميل: bahmedoussama79@gmail.com

² جامعة أحمد درايعة (أدرار)، الإيميل: brahimdhahbii@gmail.com

³ جامعة أحمد درايعة (أدرار)، الإيميل: ayamouna47@gmail.com

تاريخ الاستقبال: 2023/04/25؛ تاريخ القبول: 2025/06/15؛ تاريخ النشر: 2026/06/10

ملخص: أخذ موضوع الألبسة التقليدية في المجتمع الجزائري أهمية كبيرة عند الباحثين والمختصين في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس وعلم الفنون، وتكمن أهمية هذا الموضوع أنه يتناول مختلف مجالات للتراث الإنساني عبر العصور، وتختص هذه الدراسة بالبحث عن دور التنشئة الاجتماعية في المحافظة على اللباس التقليدي في المجتمع الجزائري، باعتبار أن للباس التقليدي خصائص جمالية يحملها الموروث الشعبي الجزائري والمجسدة في الألبسة والحلي والنسيج، الذي يحمل ترسانة من الرموز والأشكال التقليدية المعبرة عن انتماء ثقافي، والذي قدم للباحثين مواضيع للاستلهام لما يحويه هذا الموروث من قيم ثقافية وتاريخية وجمالية واجتماعية، حيث استند التراث الجزائري على الموروث المادي للتأكيد على الثقافة الجزائرية والمحافظة عليها في ضل التغيرات الاجتماعية، فالأزياء التقليدية الجزائرية تختلف من منطقة إلى أخرى، وهذا موضوع بحث متنوع في ظاهرة اللباس والمرتبطة بتغيرات زمنية المؤثرة على نظم الاجتماعية والثقافية مثل العادات والتقاليد التي تعبر عن تجليات متعددة في السلوك اليومي، لذلك الملابس تحمل مرجعية ثقافية متعددة تتجاوز وظيفتها الرئيسية لتتحول إلى وسيلة ثقافية يقف عندها العديد من الباحثين.

الكلمات المفتاحية: اللباس؛ اللباس التقليدي؛ القيم الثقافية؛ التنشئة الاجتماعية

Abstract: The topic of traditional clothing in Algerian society has taken on great importance for researchers and specialists in sociology, anthropology, psychology, and arts science. The importance of this topic lies in the fact that it deals with various areas of human heritage throughout the ages. Algerian society, given that the traditional dress has aesthetic characteristics carried by the Algerian folklore and embodied in clothes, ornaments and fabric, which carries an arsenal of traditional symbols and forms expressing cultural affiliation, which provided researchers with topics for inspiration for the cultural, historical, aesthetic and social values that this heritage contains, where the heritage was based Algerian on the material heritage to emphasize the Algerian culture and preserve it in the light of social changes, Algerian traditional costumes differ from one region to another, and this is a topic of diverse research in the phenomenon of dress and related to temporal changes affecting social and cultural systems such as customs and traditions that express

I- تمهيد :

لقد تأثر الشباب في المجتمع الجزائري بثقافة العصر كما في بقية المجتمعات الأخرى، في زمن أصبح الاهتمام والعناية بالمظهر وحسن اختيار الألبسة له أثر نفسي واجتماعي على الفرد الذي يرتديها والآخر الذي يراها رغم اختلاف تقاليد وعادات الناس وأذواقهم المستوحات من البناء الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد والذي يحكم فيه قواعد اجتماعية صارمة، إلا أن موضوعة اللباس فرضت منطقتها على الشباب وعلى السوق من خلال السيطرة على التفكير الذهني للشباب الذي بدوره يسيطر على الإنفاق المالي رغم التغيرات الاجتماعية التي شهدها المجتمع الجزائري في عالم الشغل ونقص فرص العمل، وأصبح الشباب الجزائري يمارس أعمال إضافية إلى جانب عمله الرئيسي من أجل تلبية حاجياته الأساسية وفي مقدمتها اللباس من أجل حماية جسم الإنسان من حر الصيف وبرد الشتاء ومن جهة أخرى ستره أعضاءه من أعين الناس، لذلك فاللباس له جانب أنثروبولوجي كبير منذ أول ظهور له من أجل حماية جسم الإنسان إلى تطوره وتغيره في زمن هذا الذي أصبح يعبر عن انتماء ثقافي واجتماعي طبقي، وكذلك بعض الحالات يعبر عن مستوى معيشي للفرد، وهذا الواقع السوسيولوجي لتطور اللباس حقيق رغم نقص الدراسات حول هذا الموضوع، وعليه إن أهم ما نتطرق إليه هو أسباب البحث الشباب عن الموضة في صورة ذلك الفعل لأن أبسط المظاهر تكفي لإقناع الأفراد الآخرين، ومن جهة أخرى فإن المظهر الأنيق عادة ما يكون مبنياً على القول المأثور ذو دلالة سيكولوجية عامة ليس أكثر ولا أقل صدقاً من نقيضه، فالشباب الذي يهتم باللباس وبأنفاقته يقال عنه الأنيق الجميل، هذا باعتراف بعض من الأفراد، إلا أن هناك من يختلس النظر عبر حواجز صنعها في عقله الباطني والتي تكون مجموعة من الأفكار المتناقضة مع الموضة والاهتمام باللباس عادة موروثه من أسرته أو جيرانه أو محيطه الاجتماعي، لذلك فعلماء الاجتماع وعلماء الأنثروبولوجيا وعلماء النفس يجدون أنفسهم بضرورة دراسة هذا الموضوع ليس من فرط بساطة هذا الموضوع أو قدم عهده، لكن كم أجل مناقشة ظاهرة ذات دلالات رمزية اجتماعية ثقافية.

كيف يمكن للمجتمع الجزائري أن يحافظ على أصالة اللباس التقليدي في ظل التغيرات الاجتماعية الراهنة ؟

1. تحديد المفاهيم:

مفهوم اللباس:

تعريف اللغوي: تعرف الدكتوراة عليا عابدين اللباس بمعنى clothes هو الشيء المنسوج من الشعر أو الصوف أو القطن أو الجلد الحيوان، أما الملبس فهي تعني الملابس التي تغطي الجسم كله بأنواعه المختلفة الداخلية والخارجية ومكملات الزينة و الإكسسوارات (فائزة تمسوت، 2021، ص573)

تعريف الاصطلاحي: يعرف اللباس هو الشيء المنسوج من الشعر أو الصوف أو القطن أو الجلد الحيوان، ويتشكل منها الملابس التي تغطي الجسم بكل أنواعها المختلفة الداخلية أو الخارجية ومختلف أنواع من مكملات الزينة. (بوتقرايت رشيد، 2007، ص21)

التعريف الإجرائي: نقصد باللباس هو ذلك المنتج الذي يوصف بأنه أنيق وجميل ويساير الموضة، ويعرف انتشار واسعاً بين فئات المجتمع، وعادة ما يكون مستورد من بلدان أخرى حامل لمجموعة من رموز وتعايير وعلامات ذات دلالات مختلفة.

مفهوم التنشئة الاجتماعية:

تعرف التنشئة الاجتماعية على أنها العملية التي عن طريقها يكتسب الطفل الاتجاهات والقيم والدوافع وطرق التفكير، والتوقعات والخصائص الشخصية الاجتماعية التي ستميزه كفرد في المجتمع في المرحلة القادمة من نموه، كما أن عملية التنشئة الاجتماعية هي عملية

مستمرة، تستمر باستمرار حياة الفرد، ولكن تختلف من مرحلة إلى أخرى من مراحل نموه من حيث درجة التأثير فتعلم الراشدين لأفكار وخبرات وممارسات جديدة تستمر حتى الموت. (لجلط فاطمة أحلام وآخرون، 2020، ص 497)

مفهوم القيم الثقافية:

هي تعبير عن خصوصية للفرد والمجتمع وهويته، وهي المعبر الاصيل عن الخصوصية التاريخية لامة من الامم، و تنتج شخصية الفرد وتقوي روابطه الاجتماعية وتعزز بنيته الثقافية (علي شبيطة، 2019، ص 84)

مفهوم اللباس التقليدي:

يعتبر اللباس التقليدي شفرة من شفرات الاجتماعية التي تترجم القاعد الاجتماعية والعادات والتقاليد والنظم التي تنتهجها الجماعة(فايزة تمساوت، ، 2021 539)

II – دوافع اهتمام الشباب باللباس وأناقته مظهره:

لقد اهتم العديد من الباحثون حقل الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع بدراسة هذه الظاهرة (الموضة واللباس) والقيام بالبحوث الممتازة التي اكتسبت قيمة معرفية من خلال الأفكار والاستنتاجات التي تحملها، رغم اختلاف التخصصات والفترات الزمنية لهذه البحوث، غير أنهم يبذلون قصارى جهدهم للتحرر الفكري ودراسة موضوع اللباس، باعتبار أن هذا الموضوع يشكل جزء من التاريخ والثقافة والدين والاقتصاد، ونحن كأخصائيين أنثروبولوجيين سنكتب لغيرنا عن جمالية هذا الموضوع، خاصة عندما نكتب بقلم أنثروبولوجي ونقدم ما تحمله بيئتنا من تاريخ وثقافة المرتبطة بالماضي البعيد، لأن تاريخ بيئتنا الاجتماعية ميدان جامع لكل التخصصات حقاً، وذو أبعاد متنوعة التي جمعها ميدان واحد وهو ميدان العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، إلا أن البحث عن أصول موضوع اللباس في المسارات البحثية الرئيسية لتخصصات عدة، أمر له أهمية نظراً لأن الموضوع يشكل ضرورة معاصرة ملحة وظهوره كان نتاج العلاقات المعقد في المجتمع الواحد، وعليه فان الصفحات التالية ترينا الدوافع الرئيسية التي تجعل الأفراد أكثر اهتماماً باللباس ويمكن لنا أن نصنفها كالآتي :

العوامل النفسية:

عادة ما يهتم الأفراد باللباس صفتهم شباب يعيشون في وسط ضغوطات اجتماعية باعتبار أن المجتمع في حركية مستمرة، وحركيته هذه تفرز ظواهر اجتماعية مثل ظاهرة الاهتمام باللباس، خاصة أن المجتمع الحديث أفرز ضغوطات متنوعة التي برزت في شكل تصورات وسلوكيات أكثر من فردية في عادة اللباس إلا أنها مرتبطة بالبنية الاجتماعية ومفروضة بطريقة ما على أعضاء المجتمع، فمن الضروري أن نلبس، إلا أن لباسنا خاضع لما هو متوفر في السوق والمتوفر يمثل استجابة لما تتقبله البيئة الاجتماعية. (عاطف عطية، 1996، ص 52)

يعمل اللباس على التعبير عن تميز أفراد المجتمع من جهة ومن خلال اختياراتهم المستقلة لأذواقهم كأفراد لهم الحرية الكاملة في شراء اللباس المفضل دون تدخل أعضاء المجتمع، ومن جهة أخرى تعلقهم بالثقافة السائدة من خلال إتباع ما هو منتشر من ناحية الأشكال والتصاميم وكذلك من خلال الألوان، التي تعبر عن المكانة الاجتماعية المتميزة وعن المستوى المعيشي والثقافي الذي ينتمي اليه الفرد. (بوتقرايت رشيد، نفس المرجع السابق، ص19)

وعليه فاللباس يعبر عن الهوية الاجتماعية باعتبار الفرد كائن بسري ينتمي إلى ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه، والذي تربط بينه مجموعة من التفاعلات الاجتماعية الموروثة من التنشئة الاجتماعية عن طريق أخذ القيم وإدماجها في بناء شخصيته وبناء نظامه الخاص في الموضة

واللباس، ويمكن لنا القول بأن الأسرة الجزائرية تتميز بالعديد من الخصائص والسمات عامة التي تشترك فيها مع نظيراتها في مختلف أرجاء الوطن العربي، كما أنها تتميز بخصائص وسمات أخرى أوجدتها الظروف التاريخية وثقافية واجتماعية واقتصادية أضفت عليها الطابع الخصوصية (اللباس والموضة)، فالأسرة هي العصب الأساسي للمجتمع الجزائري وهي المؤسسة الاجتماعية التي تؤمن العديد من الوظائف مثل التنشئة الاجتماعية التي تنطوي على العمليات الأساسية اللازمة لاستمرارية الحضارة و تراكم حصيلة المعرفة الاجتماعية و نقل الثقافة و التراث من جيل لآخر، فاللباس يتميز بخاصية التنوع في كافة أنواعه لأنه حصيلة نتاج ثقافي وحضاري واجتماعي هذا من ناحية المجتمع، أما من ناحية الفرد فأن التنشئة الاجتماعية تزود الفرد بالمهارات و الميزات اللازمة لاختيار لباسه في جماعة إنسانية والتكيف لمطالبها و التوافق مع قيمها وفي مجمل القول أن اهتمامها ينصب على الجانب الاجتماعي الثقافي من عملية اختيار الألبسة.

إذن نقول أن التنشئة الاجتماعية غير المقصودة تتم من خلال وسائل التربية و الثقافة العامة مثل وسائل الإعلام المختلفة و المسجد و غيرها من المؤسسات التي تساهم في عملية التنشئة الاجتماعية، ولقد تنوعت واختلفت دراسة التنشئة الاجتماعية حسب دراستها من العلماء النفس الاجتماعي وعلماء الأنثروبولوجيا، الأمر الذي أدى إلى ظهور اتجاهات عديدة ولكل منها رؤية ومنظور خاص لمفهوم التنشئة الاجتماعية مثلاً الاتجاه النفسي يرى بأن التنشئة الاجتماعية هي العملية التي يتم فيها التوفيق بين الرغبات ودوافع الفرد الخاصة، ويمكن لنا أنستعرض بعض النظريات ومن أشهرها:

نظرية تحليل النفسي لسيغموند فرويد الذي يرى أن التنشئة الاجتماعية للأفراد تكمن فيما يطلق عليه الأنا الأعلى الذي يتطور عند الفرد بدأ من الطفولة، فهو يحاكي والده ويلبس دوره الذي هو من نفس جنسه ويرى أن الطفل يولد بالدوافع الغرائزية، ويريد إشباع هذه الدوافع ولكنه أثناء نموه يتعرض سواء من طرف والديه أو من القائمين على شؤون المجتمع للوقوف في طريق إشباعه لهذه الغرائز لمحاولة تطبيعها وتنشئته على قبول قوانين المجتمع، ومساعدته على تحقيق قبول الاجتماعي والاندماج فيتحول جزء من الهوية ما يسميه فرويد بالأنا الأعلى وهو ما يسمى بالضمير الذي يعمل على إخضاع المطالب اللذة للتحكم وفق معايير المجتمع ويرى فرويد كل ما يجده الفرد من أنا صعب للتحقيق يكتب ويتحول إلى ما يسميه باللاشعور والذي نجد له تعبير في الأحلام (أزهري مصطفى صادق، دس، ص6)، كذلك الاتجاه الاجتماعي الذي يرى التنشئة الاجتماعية بأنها الاهتمام بالنظم والتي من شأنها جعل الإنسان فردا اجتماعيا قادرا على التفاعل والاندماج مع أفراد المجتمع، وإما هي تدريب الأفراد على أدوارهم المستقبلية ليكونوا أعضاء فاعلين في المجتمع وتلقنهم القيم الاجتماعية والعادات والتقاليد والعرف السائد في المجتمع، لتحقيق التوافق بينهم وبين المعايير والقوانين الاجتماعية مما يؤدي إلى خلق نوع من التضامن والتماسك الاجتماعي في المجتمع ومن بين أشهر النظريات نظرية التعلم الاجتماعي، التي تعتبر التعلم هو القاعدة الأساسية لنظرية التعلم الاجتماعي ويعتبر الإنسان من اقدر المخلوقات على التعلم وأكثر حاجة إليه وذلك لما له من فائدة في حياته باعتبار عملية دائمة ومستمرة وخاصة في عملية التنشئة الاجتماعية، فالتعلم هو الذي يهتم بالسلوك الاجتماعي عند الفرد لأنه يتضمن تغييراً وتعويدا في السلوك وذلك نتيجة التعرف للممارسات معينة وخبرات كما أن المؤسسات الاجتماعية تستخدم أثناء عملية التنشئة الاجتماعية بعض الوسائل والأساليب لتحقيق التعلم، إن التنشئة الاجتماعية تساعد الفرد على اختيار الألبسة وتعلم المهارات الأخرى المساعدة في عملية الاختيار، ويمكن القول أن دور الفرد في اختيار لباسه ثمرة التفاعل ذات والغير وان الاتجاهات نحو الذات هي أساس فكرة الاختيار للباس، وتكون عن طريق التنشئة الاجتماعية ويتأثر تأثيراً كبيراً بالمعايير الثقافية السائدة كما تتأثر بخبرة الشخص الذاتية، حتى لدى الأطفال أدوار الاجتماعية مختلفة من خلال علاقتهم مع الأفراد لهم مغزى خاص بالنسبة لحياة الأطفال الأم والأب والإخوة، إذن فعملية اكتساب الأدوار الاجتماعية بصفة عامة ليست مسألة معرفية فقط بل هي ارتباط عاطفي يوفر عوامل التعلم الاجتماعي واكتساب الدور أو الأدوار الاجتماعية تشكل شخصية الفرد والتي من خلالها يجسد عملية التفاعل في اختيار اللباس كأحد الأجزاء الظاهرة عاكساً فيها شخصيته ومعانيه الفكرية والإيديولوجية ورموزه المتكونة من المعتقدات والأعراف.

وعليه إن اختيار الفرد للباس يكون وفق التقبل الاجتماعي الذي يخفف عنه درجة القلق والشعور بالاندماج في عالم الموضة، وهذا ما يتحقق إلا بواسطة الأنا الأعلى الذي هي عبارة عن مجموعة قيم وأنظمة اجتماعية التي تساعد الفرد في الاختيار الفردي للباس ويكون هذا الاختيار وفق ميوله الذاتي والاجتماعي في نفس الوقت ويستطيع الآخر تقبله وتأييده. (أنظر إلى الملحق رقم 01)

ومن خلال ما نلاحظه في الصورة أن اللباس يعبر في العديد من المرات على السلوك الانساني ضمن الإطار الثقافي الاجتماعي بوجه عام، فلا تهتم الأنثروبولوجيا بالفرد فقط، كما يفعل علم النفس، وإنما تهتم بالإنسان الذي يعيش في جماعات وأجناس، وتدرس الناس في أحوالهم وأفعالهم. (يوري سوكولوق، 2000، ص 5)

لذلك يمكن لنا القول بأن اللباس باعتباره منتج نشأ في وسط جماعة معينة ويعبر عن بعد حضاري وثقافي واجتماعي الذي يحمله الفرد ويعبر عن انتمائه إلى الثقافة الشعبية والتي لديها أهمية كبيرة، لأنها تمثل الذخيرة الحية وهي العملة الحقيقية المتداولة في الحياة اليومية بين البشر الذين ينتجون أنواع من الأبنية المعمارية ويمارسون مختلف العادات والتقاليد التي تشكل لهم الشخصية الوطنية، وبات من المستحيل فهم الشخصية الوطنية على حقيقتها دون النظر في ثقافتها الشعبية التي أرست أبنائها عناصر البناء النفسي والعقائدي والاجتماعي. (أحمد الفنيش، 2004، ص 40)

العوامل الثقافية:

ان قضية اللباس هي مسألة شخصية تعبر عن انتماء ثقافي لطبقة اجتماعية معينة، باعتبار أن الأفراد لهم الحرية التامة في اختيار مشترياتهم خاصة بعد التحولات الاجتماعية في مطلع السنوات الأخيرة أصبحت الأسرة الجزائرية تعيش في عالم متغير أنظر الملحق رقم 02، الذي جعل اللباس يحتوي على مجموعة من الوظائف الثقافية المشكلة للانتماء الثقافي للفرد والمجسد في لباسه، وعليه قد رصد بعض المؤلفين والباحثين عدد من الوظائف الثقافية كما يلي:

1/- توفير عدسات لفهم والإدراك من خلالها يرى الفرد الناس والأشياء المحيطة به.

2/- تزويد الفرد بدوافع السلوك التي تساعد على التفاعل الاجتماعي مع مجتمعه ضمن نسق القيم المعمول به في هذا المجتمع. (كايد إبراهيم، 2009، ص 80 81)

3/- تزويد الفرد بمقاييس معايير للتقويم يستطيع بها إصدار أحكام على الموضوعات والأشياء وسلوك الآخرين.

4/- تزويد الفرد بالرموز والإشارات واللغة كوسائل الاتصال.

5/- تزويد الفرد بهوية اجتماعية محددة يعرف نفسه بها ويعرف من خلالها.

6/- تزويد الفرد بقواعد الأدوار الاجتماعية وتزويده بأساليب الإنتاج والاستهلاك والإشباع الحاجات".

أما كايد إبراهيم عبد الحق فيرى أن علماء الإنسان يرون أن الثقافة تقوم بالوظائف التالية:

" تحديد الطرق التي تمكن الإنسان من إشباع حاجاته مع تحديد الطرق التي يتعلم بها الأبناء من والديهم، وأيضا الطرق التي تنظم العلاقات الإنسانية في المجتمع الواحد والمجتمعات الأخرى". (دفيد انجليز، 2013، ص 278)

ويمكن القول أن العناصر الثقافية المختلفة التي يسير بموجبها المجتمع لا تتناقض في معظمها مع بعضها البعض وان حصل التناقض، باختصار يمكن القول أن كل ثقافة تتناول الأنماط السلوكية التي تناسب مع المجتمع وكذا الأنماط السلوكية التي تنسجم مع المبادئ الأساسية لتلك الثقافة كما تميز نفسها بالتركيز على نمط معين من السلوك أكثر من غيره.

لذلك أصبحت الألبسة تميز البلد عن آخر ومنطقة عن أخرى وشخص عن آخر مثل الرجل العاصمي يختلف عن الرجل الصحراوي، وفي مثال آخر نلاحظ لباس الرجل الميكانيكي يختلف عن لباس كرة القدم، ولذلك نلاحظ من خلال الموضة واللباس بأنه يعبر عن انتماء ثقافي لمنطقة معينة أو مجتمع معين وحتى بلد معين ومن جهة أخرى يعبر عن المكانة التي ينتمي إليها الفرد ودوره الاجتماعي في المجتمع الواحد، أنظر الملحق رقم 06 كل هذا يشكل للفرد الهوية الثقافية والاجتماعية للفرد التي تجعله يتميز بها عن الجماعات والثقافات الأخرى.

العوامل الاجتماعية:

إن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه لذلك في احتكاكه بالمجتمع يجعله يعيش بعض الضغوطات الاجتماعية التي فرضت عليه ترسانة من الأفكار والتوجهات جعلته يقتدي بها في إطار الجماعة الضاغطة، لذلك الظهور بملابس أنيقة يكسب احترام الآخرين وتقديرهم وهذا ماهو معاش في واقعنا، والعكس بالنسبة الذي يظهر بملابس غير أنيقة تجعله مرفوض في الجماعة التي ينتمي إليها أو حتى جماعات أخرى، لذلك نلاحظ في العديد من الحالات بأن اللباس يظهر طبيعة المعاملات الاجتماعية التي تسير وفق مجموعة من المعايير التي أنتجت في المجتمع الواحد، والمعبرة عن معاني ورموز التي تترجم لنا مكانة ودور والمركز الاجتماعي للفرد، فرغم التغيرات الاجتماعية المعاشة إلا أن العائلة الجزائرية مازالت تسير وفق الانسلاخ الثقافي الذي من ما يث في القنوات التلفزيونية ومشاهدة البرامج الغربية، جعلت الفرد الجزائري يمارس التقليد في كل ماهو مشاهد، ورغم أنه في بعض الأحيان أن هذه البرامج لا تتماشى وفق المعتقدات والثقافة السائدة في المجتمعات المسلمة.

III- أهمية الحفاظ على الألبسة التقليدية الجزائرية:

لطالما كان تراث الأمم ركيزة أساسية من ركائز هويتها الثقافية، وعنوان اعتزازها بذاتيتها الحضارية في تاريخها وحاضرها؛ ولطالما كان اللباس التقليدي للأمم منبعاً للإلهام ومصدراً حيويًا للإبداع المعاصر ينهل منه فنانونها وجماليتها، وأخذت الإبداعات الجديدة في تصاميم الألبسة موقعها في خارطة التراث الثقافي، وتتحول هي ذاتها تراثاً يربط حاضر الأمة بماضيها، ويعزز حضورها في الساحة الثقافية العالمية، وليس للألبسة التقليدية آثاراً فحسب، بل هو أيضاً كل ما يؤثر عن أمة من تعبير مادي ومعارف تقليدية تتوارثها الأمة عبر أجيال وعصور، وتلك البقايا المادية من أوانٍ وحلي أنظر الملحق رقم 04 ، وملابس، إذ كلها تعبر عن روحها، ونبض حياتها وثقافتها، وتكمن أهمية الحفاظ على الألبسة التقليدية في الأهداف التي يمثلها هذا التراث المادي وهي:

1/-الحفاظ على اللباس وبعده الحضاري، وحفظه لذاكرة وهوية الإنسان والمجتمع، ذلك أن الإنسان مكون من مادة وروح وبما أن اللباس جزء من التراث الثقافي يحتوي على جانبين فإن هذين العنصرين يكونان عصب الحضارة، فالحفاظ عليهما يعني الحفاظ على ما أنتجه الإنسان في مجتمع ما ككيونة وكهوية فردية ومجتمعية، فيمثل الذاكرة الحية للفرد والمجتمع، ويمثل بالتالي هوية يتعرف بها الناس على شعب من الشعوب.

2/-الحفاظ على الألبسة التقليدية هو إغناء للثقافة الإنسانية بالحفاظ على التنوع الثقافي لدى شعوب المعمورة.

3/- إن اللباس التقليدي بقيمته الثقافية والاجتماعية يكون مصدراً فنياً وثقافياً، واجتماعياً.

4/- إن اللباس التقليدي يساعد على تطوير الوعي الاجتماعي ونفسي للناس بموروثهم الثقافي فيقتربون بهويتهم الأصلية.

IV- علاقة اللباس بالتراث الشعبي:

إن تحديد مقصود اللباس داخل ميدان التراث الشعبي لم يحسم بعد وذلك برغم ما بذل فيه من جهد علمي لتحديد الأعمال التراثية التي يجب أن تدرسها الأنثروبولوجيا في دائرة الاهتمام بهذا المصطلح (اللباس) من قبل الباحثين في الأنثروبولوجيا، ونحن كمختصين في الأنثروبولوجيا نعتبر أن السمات الأساسية للمنتج الشعبي يعتبر فناً شعبياً ودليلاً على ذلك، كان في الزمان ومازال إلى يومنا هذا يصنع في البيت الألبسة النسوية من أجل الاستخدام الخاص وفي مناسبات خاصة مثل (اللباس القفطان) الذي يعرف مكانة كبيرة عند المرأة الجزائرية، (أنظر الملحق رقم 02) لذلك نجد أنه يحمل طابع شعبي وثقافي وكذلك كمنتج تجاري، وحسب ملاحظتنا للألبسة التقليدية نجد في لباس واحد تجتمع فيه رموز ودلالات ذات أشكال متنوعة من التراث والأنثروبولوجيا بصفة عامة، لذلك ننوه بأن اللباس مهما كان نوعه له أهمية أثرية لشعب ويعبر عن امتداد تاريخي يحمل في طياته أصالة هذا الشعب وعراقته ودلالاته الثقافية، وهذا يؤكد لنا على أهمية المنتج الفني الشعبي والدور الذي يؤديه في حياة الناس

ومن جانب آخر عندما ندرس ديناميات تغير التراث الشعبي من خلال دراسة التفاعل القائم بين المنتجات الأثرية الشعبية القديمة والحديثة بناء على ذلك نلاحظ تلك العلاقة التكاملية بين ما هو قديم وما هو جديد في الموضات والمنتجات الجديدة الحاملة للعناصر الثقافية للمجتمع الواحد، وهذا ما نلاحظه في الأعراس الجزائرية التي مازالت محافظة على الإرث الثقافي للألبسة ففي هذه المناسبة يجتمع ما هو قديم مع ما هو جديد، لأن الألبسة لها أنماط اجتماعية ودلالات متنوعة التي تعبر عن نوع المناسبات المختلفة.

لذلك فاللباس يعبر عن إنتاج ثقافي بالدرجة الأولى لذلك تطرق كارل ماركس وماكس فيبر وإميل دوركايم بطريقة أو بأخرى إلى موضوع صناعة الثقافة، فقدم دوركايم أفكار عامة جداً حول تأثير (شكل) مجتمع ما في إنتاج أنواع معينة من الثقافة التي تعبر عن بنية التنظيم الاجتماعي، ووفقاً لهذه الفكرة فإن المجتمع يجد ذاته هو المسؤول عن إنتاج الأنماط الثقافية.

ويرى العالم "ميردوك" أن الثقافة تتميز بخصائص وسمات معينة في مقدمة ما توصف به الظاهرة الثقافية، وتكون هذه الظاهرة ملموسة ومتطورة و إما أن تكون ثقافة ضمنية أو متضمنة، وتبدو أنماط الثقافة الظاهرة للهياكل البنائية التي تجسد العادات الجماعية والأعراف المتوارثة وأنماط السلوك الذي يحدث بانتظام فئري الناس مثلاً يأكلون ويشربون ويلعبون ويتزوجون ويحاربون ويرتبطون في كثير من أشكال التفاعل الاجتماعي، وعندما نختبر هذه الأنشطة نجد أنها ليست انفرادية أو جاءت عشوائية ولكنها جاءت بفعل تقليد الأشكال المتعارف عليها.

من المعروف أن اللباس يعبر عن الاختلاف الثقافي للمجتمع، وغالباً ما يكون هذا المجتمع مغلوب على أمره والواقع تحت الضغط الخارجي، ويعتبر التناقض الرئيسي هو التناقض مع الأجنبي (المنتجات الأجنبية)، ويقابل ذلك الموقف كموقف العائلات المحافظة من المجتمع الأصلي التي تقارن منتجاتها (الألبسة) الأصلية مع المنتجات الأخرى لكن بعيد عن حساسية الاختلاف في الجودة و العصرنة، أي أنه لا يقارن منتج عربي، بمنتج هندي مثلاً لأن جودة اللباس العربي تبقى محفوظة في الذاكرة الشعبية العربية، رغم أن هناك تبادل ثقافي في العديد من المنتجات وهذا ما يدعوا إليه العديد من المصممين في عالم الموضة دون إعطاء أهمية كبيرة في الاختلاف الثقافي أو حتى الاعتقاد بوجوده أصلاً رغم أن هناك العديد من الفئات الاجتماعية تكرر مسألة الاختلاف مع الآخر من أجل البحث عن البدائل الحضارية أخرى في حال الحاجة إلى التفاعل مع الآخر، ومن ناحية أخرى يتبين لنا أن مسألة الاختلاف الثقافي في الألبسة كانت ولا تزال أكثر عالمية من أن تكون محصورة في الثقافة الواحدة.

فاللباس التقليدي مازال يعتبر من الصناعة التقليدية الممارسة إلى يومنا هذا على الصعيد العربي وهي من الصناعات التي تحتاج إلى الخبرة بحيث يتعلم الأبناء هذه الحرفة من الآباء والأجداد، ويقال بأن السيدات هن اللواتي يقمن بهذه الصناعة قديما بمفردهن ولكن من باب الشفقة " حسب سعاد علي شعبان ساعد الرجال النساء أن المرأة مازالت بالجزء الأكبر في التصنيع، بحيث أصبحت كل قرية في المجتمع تتميز بصناعة من صنف معين من الصناعات التقليدية. (سعاد علي حسن شعبان، 2004، ص 49)

ترى "عبر قريطم" أن الارتباط الفنون التشكيلية الشعبية بالعديد من الدلالات الأنثروبولوجية كما تحمله تلك العناصر الفنية، التي هي جزء من الثقافة المادية التي تتضمن كل ما هو مادي وملموس ومرئي، والتي من خلالها تظهر مدلولاتها الثقافية والتصورات الأسطورية مع الأشكال المألوفة في الطبيعة بأسلوب رمزي، لأن للطبيعة دور في بناء الفن القديم شكلا ورمزا ومضمونا (عبر قريطم، 2010، ص ص 8 9)، فالأنثروبولوجيا باعتبارها علم دراسة الإنسان كائن عضويا حيا والبعد الاجتماعي باعتبار الإنسان كائن عضوي حي يعيش في مجتمع له ثقافته و البعد الثقافي الذي يتمثل في العادات والتقاليد والقيم وأنماط التفكير ومظاهر الإبداع الفكري والأدبي والفني، ولقد كان الإنسان دائما بتكوينه الجسدي ونظمه النسقية الاجتماعية والثقافية العديدة والمتنوعة أشد الكائنات الحية تعقيدا فمن المؤكد أن كل ثقافة من الثقافات مهما كانت بسيطة أو معقدة تحتوي على منتج إنساني (اللباس) وعلى درجة عالية من الكفاءة بالقياس إلى المنتجات الأخرى فهذا الناتج يسمى الفن أنظر الملحق رقم 07، لذلك فالعديد من الدراسات الاجتماعية ترى أن الفنون التشكيلية هي عمل اجتماعي، فالحرفي المختص في إنتاج الألبسة التقليدية هو رجل يحترف مهنته والفنان هو الفرد المحترف الذي يقوم بتقديم عمل يكون له اثر في صميم الحياة الاجتماعية مما تركه من منتجات فنية مثل ما شهده العالم العربي أنظر الملحق رقم 08 ، وفي مقدمة الفن الفرعوني والفن الإسلامي وذوقه الرفيع في إنتاج الملابس الشعبية .

إن في الموضة اللباسية كسلوك ممارس من طرف الأفراد وعادة تمارس من طرف جماعات مثل تنظيم حفلات الزواج التي تكون وفق نظام اجتماعي واحد متوارث عن طريق الأجداد بالطريقة العمودية أي بمعناه من الجد إلى الأحفاد، لذلك هنا لابد علينا أن نميز نوعين من الألبسة اللباس التقليدية واللباس العصري، فالنوع الأول هو لباس متوارث عن الأجيال سابقة وعادة ما يكون مفروض على الأجيال الحالية خاصة عن المجتمعات المحافظة التي تتميز بالثبات والاستمرار في لباسها مثل لباس القشائية التي تخص المجتمع الجزائري وبمناطق معينة، (أنظر للملحق رقم 08) عكس النوع الثاني الذي يوجد لدى فئات طبقية معينة، مثل البرجوازيين والتي لهم امكانيات اقتصادية لتحقيق ذلك، وعادة ما يتواجدون في المناطق الحضرية.

الخلاصة:

يعتبر اللباس الوسيلة التي تمثل الأناقة والجمال للفرد، لذلك صانعي هذا المنتج يجب أن يأخذوا بعين الاعتبار صفات ومقاييس في إنتاج الألبسة سواء من حيث المادة المستعملة أو التصميم لأنها تحمل العديد من الرموز والمعاني التي تحمل في طياتها الإرث الثقافي والاجتماعي لمجتمع ما، وعليه يمكن القول بأن اللباس مهما كان نوعه يعتبر رأس مال ثقافي له تأثير في المجتمعات وبفضل وسائل الإعلام التي كان لها دور فعال في نشر ثقافة اللباس خاصة منها التلفزيون ومواقع التواصل الاجتماعي لما يحتويه من الموضة وجمالياتها جعلت الفرد يمثل بها والاهتمام بها، لأن اللباس في منظورنا السوسيوأنثروبولوجي يعتبر حاجة نفسية اجتماعية أكثر من الحاجة الحسية وذلك حسب ما أنتجه المجتمع من ثقافة الشعبية الحاملة لقيم ورموز ومعاني المعبرة عن الهوية الثقافية، لذلك فالمجتمعات مجبرة على البحث في الطرق والأساليب المختلفة التي تمكنها في الحفاظ على هويتها وشخصيتها، ومحاربة ظاهرة الغزو الثقافي من أجل اكتساب مكانة اجتماعية في أوساط المجتمعات وسعي إلى الحفاظ على الإنتاج الثقافي والاجتماعي بالاعتماد على أشكال مختلفة من عمليات الاجتماعية وغيرها التي تحرص على نقل هذا المخزون وتوريثه من جيل لآخر.

- الإحالات والمراجع :

- علي شبيطة، 2019، القيم الثقافية في الأسرة وتعزيز الهوية الوطنية في ظل العولمة، الجزائر، مجلة البحوث والدراسات، ع2، ص84
- جلط فاطمة أحلام، 2020، دور التنشئة الاجتماعية الأسرية في تمهيد دور الفتاة في الأسرة الجزائرية، الجزائر، العدد01، ص 497
- فايزة تمساوت، 2021، مضامين رسائل الاتصال غير اللفظي (اللباس التقليدي للمرأة القبائلية أنموذجاً) الجزائر، مجلة المعيار، مجلد 25، العدد55، ص 537
- بوتقرايت رشيد، (2006-2007) ظاهرة الاهتمام باللباس عند الشباب الجامعي، رسالة الماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، ص 21
- عاطف عطية، 1996، المجتمع والدين والتقاليد (بحث في إشكالية العلاقة بين الثقافة والدين والسياسة)، طرابلس، منشورات جروس برس، ص 52
- بوتقرايت الرشيد، نفس المرجع السابق، ص19
- أزهري مصطفى صاذق، دس، الأنثروبولوجيا الطبيعية والثقافية (علم الإنسان الطبيعي والثقافي)، ج1، جامعة الملك سعود، كلية السياحة والآثار، ص6
- يوري سوكولوق، 2000، الفلكور قضاياه وتاريخه، ترجمة حلمي الشعراوي، القاهرة، مكتبة الدراسات الشعبية، ص 5
- أحمد الفنيش، أصول التربية، ط3، لبنان، دار الكتاب الجديدة المتحدة للنشر، 2004، ص40
- كايد إبراهيم عبد الحق، أسس التربية، ط1، الأردن، دار الفكر للنشر، 2009، ص80 81
- دفيد انجليز، وجون هيوسون، 2013، مدخل الى سوسيولوجيا الثقافة، ترجمة لما نصير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، ص 278
- سعاد علي حسن شعبان، الأنثروبولوجيا الثقافية لإفريقيا، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2004، ص 49
- عبر قريطم، أنثروبولوجيا الفنون التشكيلية الشعبية، ط1، القاهرة، دار النشر المجلس الأعلى للثقافة، 2010، ص 8 9

- ملاحق :

الملحق رقم 01



صورة (01) تبين اللباس التقليدي الجزائري (محملة من الأنترنت يوم20/02/2023)

الملحق رقم 02



صورة رقم (02) تبين محل بيع الملابس في سوق الأسبوعي (محملة من الأنترنت يوم 20/02/2023)

الملحق رقم: 03



صورة رقم (03) تبين نوع من الصناعات التقليدية (محملة من الأنترنت يوم 20/02/2023)

الملحق رقم 04



صورة رقم (04) تبين منتج من ألبسة تقليدية النسوية (محملة من الانترنت 05/03/2023)

الملحق رقم 05



صورة رقم (05) تبين لباس تقليدي الحايك (محملة من الانترنت 2023/03/05)

الملحق رقم 06



صورة رقم (06) تبين انتاج الأفرشة التقليدية المصرية (محملة من الأنترنت يوم 2023/02/21)

الملحق رقم 07



صورة رقم (07) تبين انتاج الألبسة التقليدية الجزائرية (محملة من الأنترنت يوم 2023/02/21)

الملحق رقم 08



صورة رقم (06) تبين انتاج القشابية الجزائرية (محملة من الأنترنت يوم 20/02/2023)

